الرياض
"المدينة القديمة"

تأليف: وليم فيسي

ترجمة: د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

مراجعة: أ. د. محمد بن عبدالله بن صالح
كلية العمارة والتخطيط - جامعة الملك سعود

صدرت الترجمة ضمن مجموعة من الكتب المؤلفة والمترجمة قامت عليها مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ودارة الملك عبدالعزيز بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية عن أصل كتاب باللغة الإنجليزية، طبع في عام ١٩٩٢م من قبل (IMMEL PUBLISHING LIMITED) في لندن.

ولد المؤلف في زامبيا عام ١٩٤٨م (١٣٦٧هـ)، وتلقى تعليمه في شيربورن وكلية وادام في أكسفورد ببريطانيا، وعمل منذ ١٩٧٤م (١٣٩٤هـ) كمستشار متحف في العالم العربي، وعلى وجه الخصوص بالمملكة العربية السعودية، حيث طور ومارس تخصصه في مجال آثار وتاريخ ومجتمع المملكة العربية السعودية، والمترجم للكتاب هو أحد أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض.

يصنف الكتاب ضمن سلسلة تاريخ العمران أو تاريخ المدن حيث تناول المؤلف في دراسة وثائقية مواضيع عدة، شملت الآثار والتاريخ

الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديني لمدينة الرياض، وحصرها في زمن محدد من بداياتها حتى الخمسينيات الميلادية من القرن العشرين.

الغرض من الكتاب هو توفير المعلومات اللازمة المتكاملة لأي دارس في التاريخ الحضري والاجتماعي لمدينة الرياض، ويحتاج إلى مثل هذا النوع من المعلومات كخلفية لبحثه، إذ يحتاج المعماري أو المخطط الحضري إلى مثل هذه المعلومات عند البدء في برمجة أي مشروع له ارتباط ثقافي أو بيئي أو تاريخي بالمدينة؛ وذلك لأن التجربة التي مرت بها المدينة خلال أكثر من قرنين من الزمن كفيلة بأن تساعده على صياغة الكثير من القرارات التخطيطية والتصميمية المبنية على التاريخ. فمن خلال الكتاب يمكن التعرف على الجوانب المتعددة لنشوء وتطور مدينة الرياض مزودة بالصور والرسومات التوضيحية والتي جمع المؤلف أكثرها من مصادر ثانوية.

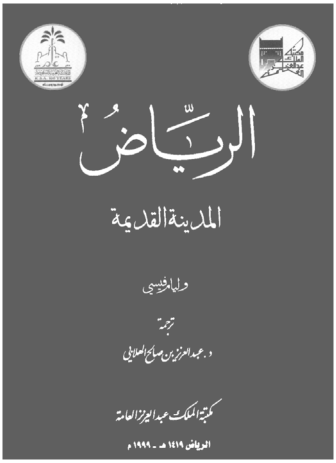

الرياض
المدينة القديمة
وليام فيسي
ترجمة
د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي
مكتبة الملك عبدالعزيز العامة
الرياض ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

يقع الكتاب في (٥٦١) صفحة من القطع المتوسط، ويحوي بين دفتيه مجموعة من المواضيع المرتبة، استهلت بتصدير للترجمة من مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ومقدمة المترجم الذي أوضح فيها أسباب اختيار الكتاب للترجمة، وكذلك منهجه في الترجمة والصعوبات التي واجهها. تلاها مقدمة مؤلف الكتاب والتي أوضح فيها مصادره الأساسية التي اعتمد عليها في عرض مادة الكتاب.

قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وفصل أول وقسمين ومراجع الترجمة والهوامش والمصادر. يحوي القسم الأول البدايات وهو عبارة عن مبحث في أصول المستوطنات في نجد. تشمل البدايات أربعة

فصول وكل فصل منها اختص بموضوع أساسي للمستوطنات في نجد على وجه العموم، ويعد خلفية لـلاحقه، والقسم الثاني يحتوي على تسعة عشر فصلاً، خصص كل فصل لدراسة قضية تدور حول مدينة الرياض. وتوضح مقدمة المؤلف للكتاب أهمية المواضيع التي يناقشها والمصاعب التي واجهته في رسم فصوله ومواضعه. وقد ناقش الفصل الأول أنماط التكوين البيئي لمنطقة نجد وأثرها على النمو الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع التقليدي. وخلص المؤلف في هذا الفصل إلى أن البيئة الطبيعية بعناصرها المختلفة لا تحدد طبيعة المجتمع لكنها توفر المتطلبات الأساسية لنجاحه.

يشمل القسم الأول من الكتاب بفصوله الأربعة الخلفية التاريخية لبدايات تكوين المستوطنات في نجد في فترة ما قبل التاريخ حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وقد اعتمد المؤلف في كتابته لهذه الفصول على مصادر ثانوية دون إضافة أي مستخلصات قائمة عن دراسات أساسية، مثل: التجارب والحفريات والتنظير. وقد أوضح هذا القسم بشمولية تاريخ مستوطنات نجد وسكانها ونظمها واقتصادها والتي لا شك أن لها الأثر الأكبر في تكوين أي مستوطنة فيها. ويعد القسم الأول من الكتاب خلفية لأي نشاط بحثي يدور حول المستوطنات في نجد، وكذلك يساعد في رسم منهجية لمناطق أخرى داخل الجزيرة العربية.

وقد خُصص القسم الثاني من الكتاب بفصوله التسعة عشر لمدينة الرياض بصورة موسعة حيث ناقش المؤلف في الفصل السادس التاريخ والتركيب الاجتماعي للسكان في نجد وعلاقتها بالنشاط البشري في المستوطنات. وركز الفصل السابع على إرهاصات الإصلاح في بلدان وادي حنيفة قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفترة من ١٦٠٠ - ١٧٤٥م (١٠٠٨ - ١١٥٨هـ). وقد كان لاهتمام أشراف مكة المكرمة في تلك الفترة الإذن ببدء فجر

جديد من ازدهار نجد. وقد اشتهر في هذه الفترة أربعة من المراكز الحضرية المهمة وهي معكال والدرعية والعيينة ومقرن، وكان لكل من هذه المراكز دور سياسي وديني حوله، واستمر ذلك إلى بداية الدعوة الإصلاحية في عام ١٧٤٥م (١١٥٨هـ) حيث تركز بعد ذلك دور الدرعية. وفي هذه الفترة بدأت الكثير من المراجع تطلق على البساتين والبلدات المحيطة بقرية مقرن "الرياض". والرياض جمع روضة، وهي الأرض الواسعة التي يتجمع فيها ماء المطر ويكثر نباتها.

أما الفصل الثامن فقد ركز المؤلف على الدرعية، ودعوة الإصلاح، وظهور الدولة السعودية الأولى في الفترة من ١٧٤٥ - ١٨١٩م (١١٥٨ - ١٢٣٤هـ). وقد أصبحت الدرعية في هذه الفترة حاضرة الدولة التي تضم أجزاء كبيرة من جزيرة العرب. وقد أمَّ الدرعية في تلك الفترة الكثير من طلاب العلم ورؤساء القبائل وأمراء المدن والمستكشفين من الأجانب. وكان للحملة التي قادها إبراهيم باشا على نجد دور أساسي في هدم الدرعية، والقضاء على الدولة السعودية الأولى، وإنهاء دورها كحاضرة. وقد بنى المؤلف في الفصول الثمانية السابقة خلفية بيئية وتاريخية لمدينة الرياض التي يتمحور حولها الكتاب.

تناول الفصل التاسع الرياض بصفتها عاصمة الدولة السعودية الثانية والتي استمرت في الفترة من سنة ١٨١٩ - ١٨٦٥م (١٢٣٤ - ١٢٨٢هـ). ومن الممكن أن يعد عام ١٨٢٤م (١٢٤٠هـ) البداية الحقيقية للرياض عندما اختارها الإمام تركي بن عبدالله عاصمة للدولة السعودية الثانية. وبحكم كون الرياض قاعدة لحكم دهام بن دواس سابقاً فهي تحوي قصراً للإمارة ومسجداً جامعاً وأسوارا تحيط بالبلدة ومزارعها، بالإضافة إلى بوابات تتحكم بالداخل والخارج، لذا قام الإمام تركي بعمل العديد من الترميمات والإضافات والتحسينات عليها. وكان لقرار تأسيس الجامع الكبير في الرياض على يد الإمام تركي بجانب قصر الحكم (دار الإمارة) وساحة السوق

النواة لتطويرها كحاضرة. وبرغم حالة عدم الاستقرار السياسي للدولة السعودية الثانية إلا أن الرياض بدأت تأخذ طابع المدينة المسورة أسوةً بالمدن الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي. وقد توسعت المدينة عمرانياً حيث تكونت العديد من الأحياء السكنية الجديدة. وقد أبرز المؤلف في الفصلين العاشر والحادي عشر وصفاً عمرانياً ومعمارياً لمدينة الرياض مدعماً بالمخططات معتمداً على ما قدمه الرحالة بلجريف والرحالة بلي.

أما الفصلين الثالث عشر والرابع عشر فقد اختصا بذكر التحول السياسي للرياض جراء المجاعة والنزاعات السياسية والتي أدت إلى أفول العاصمة الرياض من الناحية السياسية ووقوعها في قبضة آل رشيد. وقد ترتب على ذلك هدم الكثير من المباني والأسوار وبناء مبان جديدة على أنقاضها.

ناقش المؤلف في الفصول اللاحقة الخامس عشر إلى الثامن عشر موضوع استعادة الرياض من آل رشيد وبداية تكوين الدولة السعودية الثالثة على يد المؤسس المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل، وإعادة الرياض قاعدة للحكم.

وقد حظيت الرياض بزيارات العديد من الرحالة والمستكشفين الذين سجلوا رحلاتهم بالصور والتقارير والإحصاءات، ومن أشهرهم راو نكير وليشمان وشكسبير وفلبي. وقد أعطوا وصفاً دقيقاً مدعماً بالصور والرسومات والإحصاءات للبيئة العمرانية وكذلك المباني والسكان. وتعد الإنجازات المهمة التي سجلها الرحالة والمستكشفون مصدراً أولياً لتاريخ المدينة الحضري.

وفي الفصلين التاسع عشر والعشرين ناقش المؤلف الوضع الاجتماعي والسياسي لمدينة الرياض منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى إلى قبيل إعلان توحيد المملكة العربية السعودية في عام ١٣٥١هـ. وبعد توحيد المملكة ساد الأمن ربوع البلاد، وانتهت الحاجة للأسوار والحصون،

ودعت الحاجة فيما بعد إلى رسم اتجاه التمدد والتوسع العمراني للمدينة؛ لكي تستوعب الزيادة السكانية في السكان وزوار المدينة، وكان ذلك على حساب الأراضي الزراعية خاصة في الوسيطى والقري.

لقد زار الرياض بعد توحيد المملكة دي جوري ورندل ودكسون وزوجته، وقد اهتم أولئك بالطراز المعماري المحلي للرياض، ووصفوه ورسموه وخاصة الشرفات والنقوش والساباطات، وهذا ما يمكن ملاحظته في الفصل الحادي والعشرين من الكتاب.

أما الفصول المتمثلة بالثاني والثالث والرابع والعشرين فقد ركزت على التمدد العمراني للرياض خاصة بعد بناء قصر المربع خارج سور الرياض، وظهور الحاجة إلى طرقات واسعة لاستيعاب السيارات التي دعت إلى هدم أسوار المدينة وشق الطرقات في أحيائها. يمكن القول: إنه بالخمسينيات الميلادية من القرن العشرين انتهت الفترة التقليدية لمدينة الرياض، وسعت بخطى حثيثة نحو التحديث.

الخلاصة

يعد كتاب الرياض "المدينة القديمة من بداياتها حتى الخمسينات" كتاباً موجزاً لفترة مهمة من تاريخ المملكة العربية السعودية، وهي الفترة التقليدية. استعرض المؤلف عبر فصول الكتاب الأربعة والعشرين الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والعمرانية للرياض مستخدماً الأسلوب المقارن عند تحليله ومناقشته ونقده القضايا التي قام بدراستها. فمن وجهة نظري العمرانية أرى أن الكتاب وضع نواة لما يطلق عليه "تاريخ الحضر" URBAN HISTORY حتى وإن لم يلتزم المؤلف بمنهجية مؤرخي العمران. وتفتقد المؤلفات عن المملكة العربية السعودية غالبا الكتابة حول تاريخ الحضر الذي يعد من التقاليد الراسخة في

> **تفتقد المؤلفات عن المملكة العربية السعودية غالبا الكتابة حول تاريخ الحضر**

الثقافة الإسلامية كما نراه في تاريخ بغداد وتاريخ دمشق وكتب الخطط.

وفي الختام يمكن القول:

إن الكتاب يمثل حجر أساس للكثير من المهتمين في تاريخ مدن الجزيرة العربية. وعلى الرغم من أن الكتاب يفتقر إلى خاتمة تربط أجزاءه، وتحدد مجالات بحثية لاحقة إلا أنه برأيي متكامل الأجزاء.

وأخيراً وليس آخرا أقدم أسمى آيات الشكر للمترجم على الجهد الذي بذله في مواجهة صعوبة ضبط الأسماء والاصطلاحات المحلية، وإعادة صياغتها إلى الصيغة الأصلية، وتقديمه كتاباً حديث الإصدار بلغته إلى القارئ العربي، وبهذا الأسلوب الأدبي الرفيع.

كما أقدم اقتراحًا بأن تقوم "دارة الملك عبدالعزيز" بتبني مشروع تاريخ المدن في المملكة العربية السعودية، يشترك فيه المتخصصون في مجال الآثار والتاريخ والاجتماع والاقتصاد والسياسة والعمران، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.